**الإعراب في اللّغة العربيّة**

**مفهوم الإعراب:**

الإعراب في اللغة مصدر من أعرب يعرب، والفعل أعرب في جميع تقلباته التركيبية يعطي معنى أوضح وأفصح وأبان. أما اصطلاحا فقد عرفه اللغويون قديما وحديثا تعريفات عديدة لكنها متقاربة؛ عرفه ابن هشام قديما بقوله: "أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الاسم المتمكن والفعل المضارع"، وحديثا عرفه عباس حسن بأنه: "تغير العلامة التي في آخر اللفظ بسبب تغير العوامل الداخلة عليه وما يقتضيه كل عامل".

**الإعراب ظاهرة عامة أم خاصية:**

اتفقنا في محاضرة اللغة العربية واللغات السامية على أن ظاهرة الإعراب مشتركة لدى لغات هذه الأسرة اللغوية غير أن جل هذه اللغات سقطت منها هذه الظاهرة مع مرور الزمن وتلاشت، وبقيت واضحة كاملة في هوية اللغة العربية حتى أضحى الإعراب خصيصة لها دون سواها. وفي ذلك يقول المستشرق بروكلمان: "وقد ظل إعراب الاسم الموروث من قديم الزمان في اللغة البابلية القديمة كاملا، غير أنه ضاع بالتدرج شيئا فشيئا منذ وقت مبكر، كما حدث ذلك في كل اللغات السامية، أما اللغة العربية - بحكم انعزالها في الجزيرة العربية - فظلت تحافظ على صيغتها القديمة والظواهر اللغوية بما في ذلك الحركات الإعرابية". وحتى يستدل الدكتور رمضان عبد التواب على صحة فرضية أن الإعراب هي ظاهرة مشتركة في الأسرة السامية ساق نصوصا من قانون حامورابي المدون باللغة البابلية القديمة، وبيّن فيها تماثل الإعراب بينها وبين اللغة العربية، فالإعراب فيها كما هو في اللغة العربية الفصحى تماما؛ الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، وعلامة الرفع الضمة، وعلامة النصب الفتحة، وعلامة الجر الكسرة كما في العربية. ولهذا حين ننسب الإعراب للغة العربية فقط فذاك على أساس التداول والاستعمال لا على أساس الأصل والتأصيل.

وقد ظلت العربية - والقول للأستاذ محمد حماسة عبد اللطيف - محتفظة بخاصية الإعراب حتى أواخر القرن الثالث الهجري على مستوى التخاطب العادي أو اللغة التلقائية ثم أخذت هذه الأخيرة في الانفصال، لأن العربية المولّدة أخذت في الانتشار، والدليل على ذلك أن النحويين أنفسهم لم يكونوا يستعملون اللغة الفصحى في مسامراتهم ومحاوراتهم.

**أهمية الإعراب في اللغة العربية**

العرب ورثوا لغتهم معربة.. لم يغفل أحد من اللغويين العرب القدامى عن أن الإعراب من خصائص اللغة العربية، بل من أشد خصائصها وضوحا، وأن مراعاته في الكلام هو الفارق بين المعاني المتكافئة.

ولقد عبروا عن هذه الظاهرة بأساليب متنوعة، ولعل أشمل خلاصة لتلك الآراء المختلفة قول ابن فارس: "فأما الإعراب فبه تميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين، وذلك أن قائلا لو قال: ما أحسن زيد، غير معرب... ولم يوقف على مراده (لغياب حركات أواخر الكلمات). فإذا قال: ما أحسنَ زيداً، ما أحسنُ زيدٍ، ما أحسنَ زيدٌ، أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراد". بالإعراب يعرف الفرق بين الفاعل والمفعول، وبين المضاف والمنعوت، وبين التعجب والاستفهام والتقرير.. ولولاه لكانت المعاني بالتقدير والاحتمال لا على الدقة والوضوح.

**دلالة الحركة الإعرابية**

هناك اتجاهات في هذه المسألة؛

* اتجاه يرى أصحابه أن الحركات الإعرابية لا تبين عن المعاني، ولا صلة لها بها، ويمثل هذا الاتجاه من القدماء وينفرد به قطرب محمد بن المستنير (ت 206) ودليله أن في كلام العرب أسماء متفقة الإعراب مختلفة المعاني كقولك: إنّ زيدا أخوك، ولعلّ زيدا أخوك، وكأنّ زيدا أخوك.. وأسماء اختلفت في الإعراب اتفقت في المعاني كقولك: ما زيد قائما، وما زيد بقائم، فالإعراب كما يظهر مختلف لكن المعنى واحد.. وقد تكفل بالرد عليه جمع من علماء اللغة المحدثين منهم الدكتور صبحي الصالح والدكتور مازن مبارك والدكتور إبراهيم السامرائي.
* واتجاه يرى أصحابه أن للعلامات الإعرابية دورا في ضبط الدلالة تحديدها، وأنه لولا الحركة الإعرابية لما أمكن التمييز بين الفاعلية والمفعولية وغيرهما. وهذا مذهب معظم علماء اللغة العربية القدامى، وفي ذلك يجيب الزجاجي (ت 339) عن السؤال: لم دخل الإعراب في الكلام؟ بقوله: "إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني فتكون فاعلة، ومفعولة ومضافة، ومضافا إليها، ولم تكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني بل كانت مشتركة جعلت حركات الإعراب تنبيء عن هذه المعاني". وكأن الزجاجي يرى بأن معرفة الحركة الإعرابية سبيل للوقوف على معنى اللفظة المعربة بالوقوف على وظيفتها في الجملة.
* اتجاه يجمع بين الرأيين السابقين، يمثله الدكتور فؤاد حنا ترزي ويقول في الموضوع موضحا وجهة نظره: "ومع ذلك فإننا نعتقد أن الحركات الإعرابية إنما وجدت ي الأصل لغرض لفظي، وهو تيسير ارتباط الألفاظ بعضها ببعض، ولكنها استغلت من النحاة فيما بعد لأغراض معنوية في محاولة منهم لتقرير حركة واحدة للوضع الواحد ما أمكن ذلك لضبط القرآن الكريم".

**الإعراب ميزة أم تهمة؟**

إن النظرة القاصرة المؤسسة على قصور المعرفة بحقائق اللغات قد تؤدي بنا إلى تبني رأي من يتهم خاصية الإعراب بأنها سبب تخلف اللغة العربية وتعقدها، ونفور حتى المتعلمين من تعلمها باستصعاب فهمه وتطبيقه، ولكن الحقيقة يقرها الباحثون المحققون والعلماء الحذقون، لأن نشأة الإعراب - والقول للدكتور أحمد سليمان ياقوت - ربما تكون لها من الدلائل والبراهين ما يجعلنا نظن أنها اصطلاحية، لأن اللغة لما تكون معربة فهذا يعني أنها وصلت إلى درجة الكمال، ويكون الإنسان الناطق بها قد وصل هو أيضا إلى درجة الكمال العقلي والنضج الفكري، فكتابة لغة معربة والنطق بها يتطلب ذهنا واعيا وعقلا ناميا ليطابق بين المعاني التي في نفسه وبين الرموز التي على أواخر الكلمات المنطوق بها.